جدَّتي الَّتي نعرفها ولا تعرفنا

بيار فاضل



هاشيت أنطوان
أطفال

جدَّتي الَّتي نعرفُها ولا تعرفُنا

بيار فاضل



رسوم: غُلشاه ألتشن أُزَك

هاشيت أنطوان
أطفال



تَعيشُ جَدَّتي سَميحَةَ هُنا
مُنْذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ تَقْريبًا.
لَمْ تَشَأْ، بَعْدَ زَواجِ عَمَّتي،
أَنْ تَبْقى وَحيدَةً في المَنْزِلِ.
فَقَرَّرَتْ أَنْ تَسْكُنَ مَعَنا.

info@hachette-antoine.com
kids.hachette-antoine.com
facebook.com/HachetteAntoineKids
instagram.com/HachetteAntoineKids
twitter.com/HachetteAntoine

الرسوم: **Gülşah Alçın Özek (Kovan Agency)**
تصميم الداخل: **دنيز حمصي**
تحرير ومتابعة نشر: **مارينا بجّاني**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية) 978-614-06-0263-2
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية) 978-614-06-0264-9



قَبْلَ أَشْهُرٍ،
لاحَظْنا جَميعًا أَمْرًا غَريبًا
يَحْدُثُ لِلْمَرَّةِ الأولى.

عَلى مائِدَةِ الطَّعامِ،
حَدَّقَتِ الجَدَّةُ،
وَأَشارَتْ إِلى الصَّحْنِ قُرْبَ أَخي:
«ناوِلْني الـ... الـ...»،
ثُمَّ سَكَتَتْ سُكوتًا طَويلًا.

لَمْ تَسْتَطِعْ جَدَّتي تَسْمِيَةَ ما في الصَّحْنِ
لَوْلا تَدَخُّلُ أَبي
لِلْمُساعَدَةِ:
«جِبْنِة بَلَدِيِّة يَمَّا، جِبْنِة بَلَدِيِّة».



فِي صَبيحَةِ اليَوْمِ التَّالي،
وَقَعَتْ حادِثَةٌ أَغْرَبُ بَعْد.
نَهَضَتْ جَدَّتي مِنْ فِراشِها،
دَخَلَتِ الحَمَّامَ،
فَتَحَتْ صُنْبورَ المِياهِ السَّاخِنَةِ
وَزَمَّتْ شَفَتَيْها
لِتَشْرَب.

بِسُرْعَةٍ خَيالِيَّةٍ
رَكَضَ أَخي الكَبيرُ نَحْوَها
وَشَدَّها إِلى الخَلْف.



المُفاجَأَةُ وَقَعَتْ في تِلْكَ الأُمْسِيَةِ، حينَ لَعِبَتِ الجَدَّةُ
لُعْبَتَها المُفَضَّلَةَ «إِنْسان حَيَوان جَماد» مَعْ أُخْتي مايا.
«حَرْفُ الباء... بَدَأَ الوَقْتُ»، قالَتْ مايا.
وَبَعْدَ أَقَلَّ مِنْ دَقيقَةٍ، صَرَخَتْ:
«تَوَقَّفي! ستوووب... إِنْسان؟»
- لا أَعْرِف.
- بِلال... حَيَوان؟
- لا أَعْرِف.
- بَطَّة... جَماد؟
- لا أَعْرِف.
- باب.
ضَحِكَتْ مايا عالِيًا، قَبْلَ أَنْ تَحْسِمَ النَّتيجَة:
«ثَلاثَةٌ مِنْ ثَلاثَةٍ لي،
مُقابِلَ لا شَيْءَ لِتيتا سَميحَة:
صِفْرٌ مِنْ ثَلاثَة».



لَمْ تَعُدْ جَدَّتي كَما كانَت.
الجَميعُ في البَيْتِ يَشْعُرُ بِذَلِكَ،
وَيُدْرِكُ أَنَّ
مَكْروهًا ما أَصابَها.

لَيْسَ زُكامًا
كَما جَرَتِ العادَةُ
أَوْ وَجَعًا في القَدَمَيْنِ
أَوْ إِرْهاقًا شَديدًا.

هَذِهِ المَرَّةَ،
يَبْدو الوَضْعُ
أَصْعَب.





في السَّهْرَةِ يَجْمَعُنا أَبي
لِيُخْبِرَنا ما شَخَّصَهُ الطَّبيب:
«جَدَّتُكُمْ تَنْسى كَثيرًا
وَقَدْ لا تَتَذَكَّرُ أَحَدًا مِنَّا.

عَلَيْنا الاِعْتِناءُ بِها أَكْثَرَ
وَالدُّخولُ إِلى عالَمِها الجَديد.

رُبَّما لَمْ تَعُدْ قادِرَةً عَلى التَّحَدُّثِ بِلُغَتِنا،
أَوْ حَتَّى فَهْمِها،
وَلِهَذا يَنْبَغي لَنا التَّواصُلُ مَعَها بِلُغَةٍ خاصَّةٍ،
لُغَةٍ جَديدَةٍ مِنِ اخْتِراعِنا.

الجَدَّةُ سَميحَة لا تَعْرِفُنا الآنَ،
لَكِنَّنا نَعْرِفُها».



قَبْلَ النَّوْمِ أُفَكِّر:
كَيْفَ سَأُخْبِرُ جَدَّتي بَعْدَ الآنَ كَمْ أُحِبُّها؟
كَيْفَ أَتَواصَلُ مَعَها
بِغَيْرِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة؟
عَلَيَّ أَنْ أَجِدَ حَلًّا بِأَسْرَعِ وَقْت.

أُفَكِّرُ وَأُفَكِّر...
أَخيرًا، تَخْطُرُ لي فِكْرَةٌ مُدْهِشَة:
«الموسيقى لُغَةٌ عالَمِيَّةٌ»
تُرَدِّدُ الآنِسَةُ ريمان في المَدْرَسَة.
لِماذا إِذًا لا تَكونُ الموسيقى
لُغَتي الجَديدَةَ مَعْ جَدَّتي؟

غَدًا، سَأَعْزِفُ لَها
طَويلًا.



عَلى السَّريرِ المُجاوِرِ تَتَمَدَّدُ مايا،
سارِحَةً بِأَفْكارِها.
فَجْأَةً، تُطْلِقُ صَيْحَةً قَوِيَّةً
تُطَيِّرُ الهِرَّ فَلافِل مِنْ مَكانِه:
«وَجَدْتُها!
وَجَدْتُها.
يَقولونَ إِنَّ الرَّقْصَ
لُغَةُ الجَسَد.
مِنَ الآنَ فَصاعِدًا
سَأَرْقُصُ
لِتيتا سَميحَة».



هَكَذا،
صارَ لِكُلٍّ مِنّا لُغَتُهُ مَعَ الجَدَّة:
أَبي اخْتارَ لُغَةَ العَيْنَيْنِ
لِيَقولَ ما يَشْعُرُ بِهِ.
وَأُمّي لُغَةَ اللَّمْسِ وَاليَدَيْنِ
وَسيلَةً لِإيصالِ الرَّسائِل.

وَمايا لُغَةَ الرَّقْصِ،
وَأَنا لُغَةَ الموسيقى.

وَأَخي الكَبيرُ رَواد...
تُرى ماذا اخْتار؟



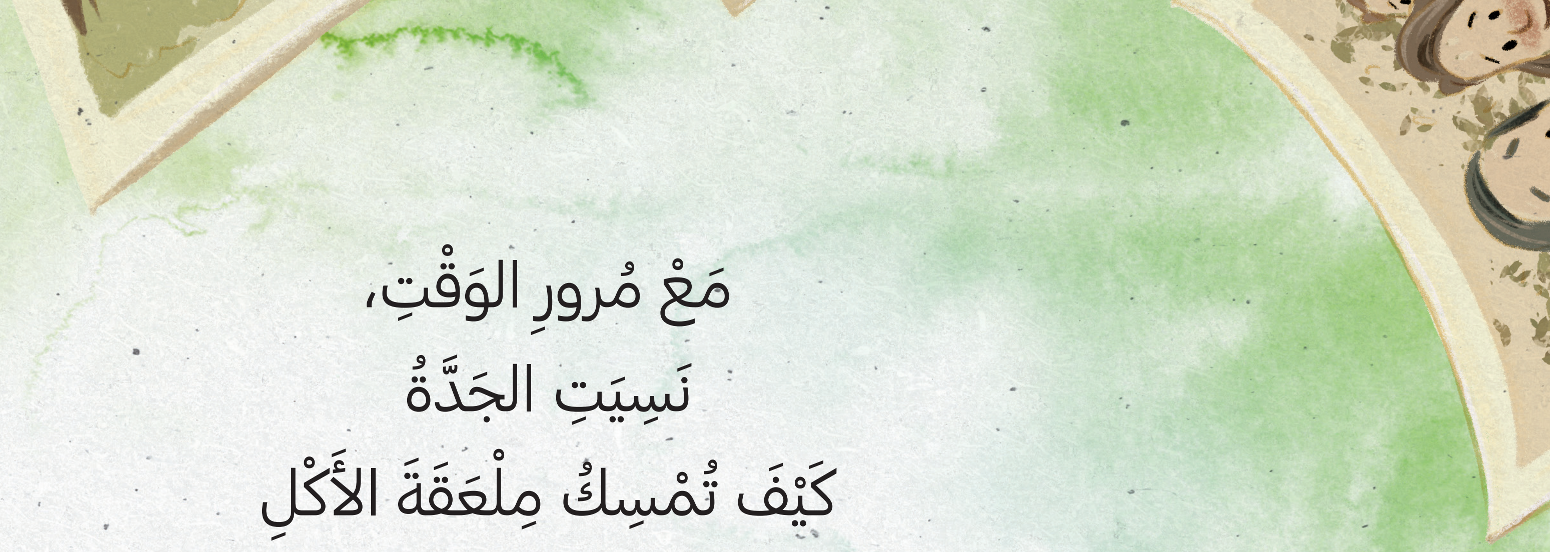
يَعْلَمُ رَواد جَيِّدًا
عَلاقَةَ جَدَّتي القَديمَةَ بِالوَرْدِ وَالزَّهْرِ،
فَاخْتارَها لُغَة.
مَرَّةً يُهديها وَرْدَةَ جوري حَمْراءَ،
وَمَرَّةً جارْدينْيا،
وَمَرَّةً زَهْرَةَ ياسَمين...

أَمَّا جَدَّتي،
فَكُلَّما مَسَكَتْ واحِدَةً
دَمَعَتْ عَيْناها.

البُكاءُ أُسْلوبُ جَدَّتي المُمَيَّزُ
في التَّعْبيرِ عَنِ الفَرَح.

مَعْ مُرورِ الوَقْتِ،
نَسِيَتِ الجَدَّةُ
كَيْفَ تُمْسِكُ مِلْعَقَةَ الأَكْلِ
وَكَيْفَ تَرْتَدي ثِيابَها
أَوْ تُمَشِّطُ شَعْرَها،
فَتَكَفَّلْنا
جَميعًا
بِإِنْجازِ هَذِهِ المُهِمّاتِ
وَغَيْرِها
بِسَعادَةٍ عارِمَة.









اليَوْمَ نَهارٌ جَديدٌ،
فُرْصَةٌ جَديدَة.
أُمّي تُحَضِّرُ الفَطورَ،
وَأَبي مُنْشَغِلٌ بِتَرْتيبِ الطّاوِلَة.

فيما الجَدَّةُ
العاجِزَةُ عَنْ تَرْكيبِ جُمْلَةٍ،
تَشْدو في غُرْفَةِ الجُلوسِ
مَقْطَعًا واحِدًا
مِنْ أُغْنِيَةٍ واحِدَةٍ فَقَطْ
ما زالَتْ عالِقَةً في رَأْسِها:



عِنْدَ النَّافِذَةِ،
أُراقِبُ بالونًا أَزْرَقَ
يُحَلِّقُ بَعيدًا نَحْوَ السَّماءِ،
يُشْبِهُ إِلى حَدٍّ كَبيرٍ
ذاكِرَةَ الجَدَّة.